الدلالة النحوية للأفعال الماضية في سورة البقرة

د. عمر علي محمد الدليمي

قسم الشريعة / كلية القانون والشريعة – الفلوجة – / جامعة الأنبار

الخبير اللغوي

أ.م.د. شاكر شنيار بديوي العلواني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على اشرف خلق الله أجمعين وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين أما بعد:

فقد استعمل القرآن الكريم الأفعال استعمالا مُعجِزًا، فالدلالة الزمانية للأفعال لا تنصاع في كثير من الأحيان لدلالة الصيغة الصرفية الزمانية فقوله تعالى :﴿وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾(النساء /١٧)﴿إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ (النساء/٩٤)، فالزمن في لفظ الفعل ماض، لكن سياق الكلام يمنع هذه الدلالة الزمنية، فيغيرها إلى الاستمرارية غير أن مجيأها على هذا الشكل يعني أن الله تعالى عندما قدر هذا الشيء كان حكيما فيه في حاضره ومستقبله، وليس هكذا كيف ما اتفق، فاللفظ عبّر عن دلالتين زمنيتين الماضي والاستمرار.

وأحيانا في لفظ الفعل نفسه، فإنك تجد أن الفعل قد صار على صورة لا تجد عند النحاة قانونا يضبطها، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس/١٠٣) إذ حذفت الياء، ولم يكن ثمة سبب أو مخرج نحوي له، ولكنهم خرجوه تخريجا صوتيا وهو: (أنّ قصر المد والاكتفاء بالكسر مما يتطلب إسكان اللام في (المؤمنين)، ليكون بين الجيم واللام صوت قصير هو الكسرة لان المد الطويل، أي: الياء لا يجعل الكلمتين مرتبطتين على هذا النحو من الإحكام)[1].

ومن ذلك حذف آخر الفعل ؛ من أجل الفواصل ، كما في: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ}(الفجر/٤) فليس من سبب نحوي للحذف.

ومن ذلك إبدال حرف مكان حرف آخر كما في (دسّاها) من قوله تعالى: {وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا }(الشمس /١٠)، قال الفراء: (ونرى — والله أعلم — أن دساها من : دسست بدلت بعض سيناتها ياء كما قالوا: تظنيت من الظن، وتفضيت يريدون تَفَضّضْتُ من تفضض البازي وخَرجت أتلعّى: ألتمس اللُّعاع أرعاه. والعرب تبدل في المشدد الحرف منه بالياءوالواو من ذلك)[2].ومثله قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ{١}عَلَّمَ الْقُرْآنَ{٢}خَلَقَ الْإِنسَانَ{٣}عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} (الرحمن /١

– ٤)، فالفعل (علّم) لا يمكن أن تربطه إلا في باب الجمع بين زمنين المضي منذ الأزل والاستمرار مادامت هناك حياة ووجود ، والله أعلم.

ومن الأمور المعجزة نرى أن دلالة كثير من الأفعال تتغير فيلجأ النحويون إلى البحث عن مخرج يرشدهم إلى ذلك ، كما في قوله تعالى: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} (طه/٧١) قالوا: إن (في) بمعنى (على) وقيل: بل تضمن الفعل معنى لأجعلن. (٣)

ومنه قوله تعالى: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ}(البقرة/١٨٧)، فأنت لاتقول: رفثتُها، ولا إليها، بل: رفثت بها آو معها،غير أننا نجد أن النحاة خرّجوه على تضمن معنى الإفضاء فلما أخذ معناه أخذ صفته،وهي التعدي بـ(إلى)(٤).

فهذه الاستعمالات المعجزة في لغة القرآن الكريم وأساليبه دفعت الدارسين إلى تقصي حقائقها ومعرفة أسرارها والكشف عن دلالاتها ، فحاولنا أن نشاركهم خطاهم علّنا نقف عند بعضها ، فرأينا أن نقوم بدراسة ميدانية في دلالة الأفعال.

ولما كانت الأفعال كثيرة اخترنا منها الأفعال الماضية فكانت في سورة البقرة لتكون أنموذجا يحتذى به في بقية سور الكتاب العظيم .

آملين أن تصل الدراسة إلى مستوى يخدم الدارس والقارئ على حد سواء ، ولكثرتها أيضا – أعني: الأفعال الماضية – آثرنا أن تذكر الأفعال ذات الدلالات الطارئة على ألفاظها ،فكانت مجموعة من الأفعال لعلها تشارك في بناء الفكرة وتكون خطّا يسير عليه الآخرون يطورونه ويزيدون عليه .ورتبناها في البحث على وفق ترتيبها المعجمي ، أي : بحسب ترتيب جذورها في المعجم .

فإن وفقنا فهو فضل العليم الجليل، وإن أخفقنا فهو من عمل البشر المجبول على الخطأ والنسيان، وحسبنا ما بذلنا من جهد في إخراجه والله تعالى الموفق.

أتى:

من قوله تعالى: {وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ}البقرة /١٤٥، أتى: جاء، وفي الأصل معناها للغريب(٥)، فقيل للسيل الذي يأتي من بلد قد مُطِرَ فيه إلى بلد لم يُمطر فيه أتيّ (٦) .

والفعل في الآية فيه تعميم للدلالة ، فبعد أن كان مخصصاً بالغريب الوارد صار عاماً يشمله ويشمل غيره، ووضع المظهر أي: (الّذين أوتوا الكتاب) موضع المضمر، أي: هم ، أعني: لم يقل: ولئن أتيتهم، للإيذان بكمال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما ينافيه من الكتاب الصادق بحقيقة ما كابروا في قبوله (بكل آية). (٧)

واستعمال (أوتوا) إنما هو لبيان عدم قبولهم وهو بعكس، آتينا ، فإنه أكثر ما جاء فيمن له ذلك (٨).

بـعـث :

وردت لفظة (بعث) في ستة مواضع من سورة البقرة وذلك في قوله تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }البقرة /٥٦، وقوله تعالى: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ}البقرة /١٢٩، وقوله: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ} البقرة /٢١٣، وقوله: {إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ} البقرة /٢٤٦، وقوله: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً} البقرة /٢٤٧، وقوله: {فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ} البقرة / ٢٥٩.

بعث في اللغة: أرسل من بعثتُ الناقة إذا أقمتها من مكانها.[٩] أما في سورة البقرة فقد جاء على معنيين :

الأول: على معناه المعجمي وذلك في الآيات: ((١٢٩ ، ٢١٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧)).

الآخر: جاء بمعنى: (أحيا من الحياة)، وذلك في الآيتين : (٥٦، ٢٥٩)[١٠] .

ولعل استخدام (بعثه) بمعنى (أحياه) إنما جاء للدلالة على سرعة الإحياء وسهولة تأتيه على الباري عزوجل ، وللإيذان بأنه : أي الميت قام كهيأته يوم مات عاقلاً فاهماً مستعداً للنظر والاستدلال، كما هو الحال مع سيدنا عزير (عليه السلام)[١١]. فبعث أقوى دلالة من (أحيا) إذ كأن الميت يستجيب لندائه عز اسمه فينهض وهو بخلاف أحيا ، إذ ليس فيه هذه الدلالة.

بَلَـــغَ:

من قوله تعالى: {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} البقرة /٢٣٤.

بلوغ الشيء : الوصول إليه [١٢]. وهو بهذا فعل مادي في الأصل ، ثم صار يستعمل توسعاً في غير المجسدات ومعناه في الآية قاربن ؛ لأنه بعد بلوغ الآجل لا خيار له في الإمساك [١٣] ، ومعنى أمسكوهن: راجعوهن [١٤] . وبلوغ الأجل تناهيه [١٥]، لأن المعنى يقتضي ذلك .

إتّبَـــعَ:

من قوله تعالى : ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ البقرة / ١٠٢.

تبع الشيء تبوعاً : سار في أثره [١٦] . واتّبع يقتضي التدرج والمبالغة، وفي الآية جاء بمعنى فَضّل [١٧]، أي وفضّلوا ما تتلوا الشياطين وفيه تخصيص للدلالة .

ومثله تَبِعَ من قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ﴾ البقرة / ١٤٥، فقد خصصت دلالته ، إذ إنه بمعنى صَلّوا نحوها .

وإنما عبر بـ ((أتبع ، وتبع)) وهما في الأصل للخطوات [١٧] ؛ لأنه أراد ملاحقة الحق والحث على إتّباع آثاره فهؤلاء النفر لا يلحقون إلا آثار الشياطين وأما الحق فلا يلحقون آثاره . وبمثل هذا يفهم من كل موضع وردا فيه في المعاني غير المجسدة ، نحو: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ البقرة / ٣٨ [١٩] . والله أعلم ..

تـــــرَكَ:

من قوله تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ البقرة / ١٧ .

الترك في المشهور طرح الشيء كترك العصا من يده أو تخليته محسوساً كان أو غيره وإن لم يكن في يده كترك وطنه ودينه [٢٠] .

وقال الراغب: ((ترك الشيء رفضه قصداً واختياراً أو قهراً واضطراراً)) [٢١] وقال الآلوسي: ((ويفهم من المصباح أنه حقيقة في مفارقة المحسوسات ثم استعير في المعاني)) [٢٢] .

وفي الآية معناه أبقى[٢٣] ، والمعنى: أن هؤلاء القوم من شدة كفرهم ونفاقهم شبهوا بالذي يمشي في النور والضياء ثم فجأة ينقطع الضياء ويعمه الظلام الدامس ، فلا يرى سوى الظلمة حتى يده لا يراها ، ولا يجد من يرشده ويهديه .

جـــــاء:

من قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ البقرة / ٧١ ، وقوله: ﴿فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ﴾ البقرة / ٢٧٥.

جاء: معناه الإتيان[٢٤] ، تقول : جاءني فلان ، أي: أتاني ، فهو على هذا يكون أصلاً في الماديات .

وفي الآيتين ورد على معنيين في الثانية على معناه المعجمي ، لكن فيه انتقال من الماديات إلى المعنويات، وذكر الفعل مع الموعظة لأنه أراد الوعظ وهما واحد [٢٥]، مع فارق دقيق وهو أن الوعظ مصدر والموعظة اسم له ، لذلك أنت تقول : الشيخ الفلاني يعظهم وعظاً ، ولا تقول موعظة .

أما في الآية الأولى فقد جاء الفعل بمعنى (بيّن) [٢٦] ، وهذا عند من جعل أولئك النفر عصاة وليسوا كافرين[٢٧] ، والمعنى : الآن بيّنتَ لنا غاية البيان [٢٨] . والحق هنا بمعنى الحقيقة ، وقيل بمعنى الأمر المقضى أو اللازم ، وقيل: القول المطابق للواقع[٢٩] .

حـــــج واعتـمر :

من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ البقرة / ١٥٨.

الحج: القصد مطلقاً أو إلى مُعَظَّم، والعمرة الزيارة، وذلك إذا تكررا [٣٠]. وهما في الآية باقيان على معنيهما المعجمي.

واللفظتان من الألفاظ التي خصصت دلالاتها، فبعد أن كانا مطلقين بأي مكان[٣١] صارا مقيدين ببيت الله الحرام في مكة المكرمة بشروط وأحوال معروفة، وصارا لا يفهم منهما إلا هذا المكان وهذا المقصد [٣٢].

ذهـــــب:

من قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ البقرة / ١٧، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ البقرة / ٢٠ .

الذهـــــــاب: السير والمرور [٣٣] ، وذهب وأذهب لغتان منه ، وهو زوال الشيء. قاله القرطبي [٣٤].

وذهب بالشيء استصحبه وأمسكه عن الرجوع إلى الحالة الأولى ومعناه في الآية الكريمة غير هذا ، فالباء والهمزة وإن اشتركتا في معنى التعدية لكن يمكن أن ينظر صاحب المعاني إلى معنى الهمزة والباء الأصليين — وهي الإزالة والمصاحبة والإلصاق — ففي الموضعين لطف لا ينكر، كيف والفاعل هو الله تعالى القوي العزيز الذي لا راد لما أخذه ولا مرسل لما أمسكه [٣٥].

وقول المبرد: (إن ذهبت بزيد يقتضي ذهاب المتكلم مع زيد دون أذهبته) خرجه الآلوسي بأنه على المجاز فهو مجاز عن شدة الأخذ بحيث لا يرد، أو يجوز أن يكون الله تعالى وصف نفسه بالذهاب على معنى يليق به، كما وصف نفسه سبحانه بالمجيء في ظاهر قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ﴾، (الفجر/٢٢) [٣٦] .

والأولى أن يقال: إنه بمعنى الزوال، وعلى هذا لا يخفى ما فيه في الموضعين من انتقال من الماديات إلى المعنويات .

رَجَـــــعَ :

من قوله تعالى:﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ البقرة / ١٩٦.

ورد الرجوع في الآية الكريمة بمعنى الانصراف [٣٦] وهو معناه المعجمي ، والمعنى : إذا فرغتم ونفرتم من أعمالكم [٣٩]، كما وذكِرَ الرجوعُ وأريد به سببه [٤٠]، أو المعنى : إذا رجعتم من منى . وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) : ((إذا رجعتم إلى أمصاركم)) [٤١] . وعلى هذا يكون لفظ الرجوع أظهر في هذا المعنى .

ولعل ذِكرَ " الرجوع " من غير ما يتعلق به إنما جاء لحكمة ، وهي : أنه أراد التفرغ من مناسك الحج ومتطلباته ، والمعنى إذا رجعتم عنه ، أي : تفرغتم سواء أكان ذلك في مكان الحج أو في بيوتكم عن أهليكم فأنتم على الخيار ، والله أعلم .

رَفَـــــــعَ :

من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ﴾ البقرة /٦٣. **الرفع:** ضد الوضع، رفعته فارتفع، فهو نقيض الخفض في كل شيءٍ.[٤٢]

وهو في الآية باقٍ على معناه المعجمي؛ لأن الرفع حقيقةَ[٤٣]، والطور: اسم الجبل الذي كان عليه سيدنا موسى (عليه السلام)[٤٤] وهو سرياني مُعرّب[٤٥] ، وقيل :هو اسم لكل جبل[٤٦] .

- وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ البقرة /٢٥٣. ورفع في هذه الآية فيه انتقال من المادي إلى المعنوي ؛ لأن الدرجات من المعاني المجردة ، وليست من الماديات المحسوسة . وجاء الرفع هنا بمعنى بَلَغَ[٤٧]، فالرفع إذاً استعمل استعمالين في الأولى على حقيقته المعجمية ، وفي الأخرى على المعاني المجردة .

زَلَـــلَ:

من قوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة / ٢٠٩ . يقال: زل السهم عن الدرع ، والإنسان عن الصخرة، أي: زلق [٤٨]، وأصله في القَدَم، ويستعمل مجازاً في الاعتقادات والآراء ، وغير ذلك.

وجاء في الآية دالاً على الاعتقادات والآراء، أي : في المعاني وليس في المجسدات، فهو منتقل من الاستعمال الأول الحقيقي إلى الآخر المجازي . [٤٩]

ومعنى الآية: فإن ملتم أو ضللتم الدخول في السلم وتنحيتم[٥٠]. فأعلموا أن الله عزيز حكيم .

ويبدو أن (زَلَّ) هو سقوط بغير قصد ، فإذا كان السقوط بقصد صار انحرافاً ، والله أعلم .

زُلْـــزِلَ:

من قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ ﴾ البقرة /٢١٤.

الزلزلة والزلزال شدة تحريك الشيء [٥١] ، فهو في الأصل للمجسدات ، ثم تكون في الأحوال [٥٢] ، أي : في غيرالمجسَّدات ، وهو كذلك في الآية والبأساء في المال والضراء في البدن[٥٣] ، فالكلام فيه تصوير لشدة هول أولئك القوم ، وما أصابهم من المحن والوعثات . [٥٤]

سَجَـــــدَ:

من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة /٣٤. السجود في كلام العرب: الخضوع والتذلل[٥٥] ، ومنه قول زيد الخيل:

بَجمع تضل البلق في حجراته ترى الأكم فيها سُجّداً للحـــوافر[٥٦]

(وغايته وضع الجبهة على الأرض) [٥٧].

وفي معناه في الآية الكريمة خلاف[٥٨] ، فقال الجمهور: إن سجود الملائكة لآدم إيماء وخضوع[٥٩]، فقيل: هو تعبد لله، فآدم إما قبلة أو سبب[٦٠]. وفي هذا تخصيص للفعل، أي: لايذكر السجود إلا فُهِمَ أنه لله تعالى وليس لغيره ، وقيل: السجود كان سجود تحية ، إذ التحية من معانيه[٦١]، فهو كسجود أبوي يوسف ((عليه السلام)) ، لاسجود عبادة. والسجود كان جائزاً في غير شريعتنا الإسلامية[٦٢]، وكلها تكريم لآدم ((عليه السلام)) [٦٣].

سعـــــى:

من قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ البقرة /١١٤،وقوله: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾ البقرة /٢٠٥.

السعي: العدو دون الشد [٦٤]، وفي الحديث: ((إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ..)) [٦٥] وهو يتعدى إلى معموله بـ (إلى)، قال تعالى: ﴿فَاسْعَواْ إِلى ذِكْرِ اللّه﴾ (الجمعة /٩) .

وإنما تعدى هنا بـــ " في " لأن فيه انتقالاً من الجري السريع بالقدمين وغيرهما إلى الجري باللسان ، أي : أنه دوماً يحث الناس ويحث نفسه على الخراب والفساد[٦٦]. وعلى هذا فالفعل فيه إطلاق للدلالة ، أي : أنه غير مخصص بالمشي السريع .

اشتـــرى ، رَبِـــحَ :

من قوله تعالى: ﴿ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ البقرة /١٦. الاشتراء كالشراء، استبدال السلعة بالثمن، أي: أخذها به[٦٨] . وبعضهم يجعله من الأضداد[٦٩]. وعندئذ هو في الماديات، ويستعمل في المعاني توسعاً، ومنه قول الشاعر:

فإن تزعميني كنت أجهل فيكم فإني شريت الحلم بعدك بالجهل[٧٠]

وهو كذلك في الآية الكريمة ؛ لأن الضلالة والهدى من المعاني، والمعنى: استحبوا الكفر على الإيمان (فعبر عنه بالشراء؛ لأن الشراء إنما يكون فيما يحبه مشتريه) [٧١]. ونتيجة هذا الشراء الخسارة الأكيدة فقال تعالى : (فما ربحت تجارتهم) ، وأسند الربح إلى التجارة على عادة العرب في قولهم : رَبحَ بيُعك وخسرتْ صفقتُكَ [٧٢] . واستعماله في المعاني توسع أيضاً. وهذا من دقة التعبير القرآني للتراكيب؛ لأن الذي يشتري ويبيع لابد له من أن يربح أو يخسر، هذا على صعيد الاستعمال المعجمي وكذلك الذي يعمل في تجارة المعتقدات فلا بد له من أن يربح أو يخسر، فالذين يعملون في تجارة الهدى ربحوا، وأما سواهم ((فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)).

ضُـــرِبَ :

من قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ البقرة /٦١. الضرب معروف[٧٣] فهو بمعنى الإوجاع بأي وسيلة أو آله، وفي الآية جاء بمعنى خُتِمَ ، أي: ألصقت وألزموها وقضي عليهم بها[٧٤] ، وهو مأخوذ من ضرب القباب[٧٥]، ومنه قول الفرزدق في جرير:

ضَرَبَتْ عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتابُ المنزلُ [٧٦]

وفي الآية استعارة تبعية تحقيقيه لمعنى الإحاطة والشمول أو اللزوم واللصوق بهما، وفي الكلام كناية عن كونهم أذلاءَ متصاغرين، وذلك بما ضُرِبَ عليهم من الجزية التي يؤدونها عن يد وهم صاغرون ، وبما ألزموا من إظهار الزي ليعلم أنهم يهود ولا يلتبسوا بالمسلمين ، وبما طُبِعوا عليه من فقر النفس وشحتها فلا ترى ملة من الملل أحرص منهم[٧٧].

وعلى هذا فالفعل فيه تخصيص للدلالة إذ فيه انتقال من الماديات المجسدة إلى المعنويات المجردة . وبناء الفعل للمجهول لتنزيه الفاعل وهو الله تعالى من أن يذكر معهم ، والله أعلم . ومعنى باؤوا رجعوا وانقلبوا [٧٨] ، أي : لزمهم الغضب واحتملوه [٧٩]، ومنه : باءَ الرجل بصاحبِهِ ، أي: قُتِلَ به [٨٠] ، أي: بسبب قتلهِ وفعلهِ . وهذا يتناسب في الآية مع ما قاموا به ومع ما ضُرِبَ عليهم .

عَـــرَّضَ :

من قوله تعالى: ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء ﴾ البقرة / ٢٣٥ .

التعريض: ضد التصريح[٨١]، وهو إمالة الكلام عن نهجه إلى عرض منه وجانب ، واستعمل في أن تذكر شيئاً مقصوداً في الجملة بلفظه الحقيقي، أو المجازي، أو الكنائي ليدل بذلك الشيء على شيء آخر لم يذكر في الكلام مثل أن تذكر المجيء للتسليم بلفظه ليدل على التقاضي، وطلب العطاء، وهو غير الكناية؛ لأنها معنى مقصود بلفظ آخر[٨٢] .

وقيل: هو من عَرَّضت الرجل، أي : أهديت إلية تحفة[٨٣] ، وفي الحديث: (أن ركباً من المسلمين عرَّضوا رسول الله "صلى الله علية وسلم" وأبا بكر الصديق " رضي الله عنه " ثيابا بيضا أي: أهدوا لهما)[٨٤] ، والعُراضة هي الهدية. وعلى هذا ففيه انتقال من الماديات إلى المعنويات ، وهو كذلك في الآية القرآنية الكريمة .

عَـــلِمَ:

من قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ البقرة /٦٥.

العلم نقيض الجهل[٨٥]، وفي الآية جاء بمعنى عرفتم، أي: عرفتم أعيانهم[٨٦] . والمعرفة: عدم الخفاء[٨٧].

وبين المعرفة والعلم فروق دقيقة [٨٨] منها : أن المعرفة متوجهة إلى الذات المسمى والعلم متوجه إلى أحواله فإذا قلتَ: عرفت زيداً فالمراد شخصه، وإذا قلت : علمت زيداً ، فالمراد به العلم بأحواله من فضل ونقص ، فعلى الأول يتعدى الفعل إلى مفعول واحد، وعلى الآخر يتعدى إلى مفعولين[٨٩] . وقيل: إن العلم يستوعب سبق جهل بخلاف المعرفة، ولهذا لا يقال: الله تعالى عارف، ويقال له: عالم [٩٠]. ومعنى الاعتداء: التجاوز [٩١].

فَتَـــــحَ :

من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَىَ بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ البقرة /٧٦.

الفتح : نقيض الإغلاق ،[٩٢] وهو في الأصل للماديات للأبواب وغيرها . واستعمل أيضا في القضاء والحكم ، والفتاح القاضي بلغة أهل اليمن، يقال : بيني وبينك الفتاح [٩٣].

وفي الآية جاء بمعنى: أطلعكم أو عرفكم، والمعنى: بما عرفكم من صفة محمد ﷺ [٩٤] . والتعبير — بالفتح— للإيذان بأنه سر مكتوم وباب مغلق[٩٥]، فانتقل الى المعنويات؛ لأن الأمور التي أطلعهم الله عليها كانت في مغلق ففتحه الله لهم فاطلعوا عليها، فالفعل على هذا خصصت دلالته.

انفـــجـر:

من قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنا﴾ البقرة / ٦٠.

الانفجار: الانصداع، أي انصداع شيء عن شيء، ومنه الفجر، وهو الانشقاق[٩٦] أيضاً والانبجاس في الماء أقل من الانفجار[٩٧] .

ويبدو أنه عبر بالانفجار بدلا عن انشقاق العيون في الصخر لينبه على شدة تلك العصا المعجزة وقوتها ، وهي معجزة لموسى ((علية السلام)) ، والله أعلم ..

قـــــام:

من قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ﴾ البقرة / ٢٠.

القيام نقيض الجلوس[٩٨]، وفي الآية جاء بمعنى الثبوت[٩٩]، أي: وقفوا[١٠٠] ، ويتجوز به عن الكساد ومنه: قامت السوق، أي: كسدت، وفي ضده يقال: مشت الحال[١٠٢] .

وعلى هذا يكون فيه انتقال من الحركة إلى السكون؛ لأن القيام في الأصل يدل على الحركة بخلاف الوقوف الذي يدل على السكون. ((وفي القول توبيخ للمنافقين حيث لم ينتهوا، أي: ثبتوا على نفاقهم[١٠٢] ؛ لان من قدر على إيجاد قصيف الرعد ووميضه وإعدامهما قادر على إذهاب سمعهم وأبصارهم أفلا يرجعون عن ضلالتهم؟ !))[١٠٣] .

وقال: ((مشوا)) أي : مضوا ، وفيه إشارة إلى ضعف قواهم لمزيد خوفهم ودهشتهم فلم يأتِ سبحانه بما يدل على السرعة . ولحيرتهم فهم يمشون كل ممشى[١٠٤]. ومعنى أظلم : اختفى وفيه[١٠٥] تخصيص للدلالة .

ومعنى الآية :((كلما صلحت أحوالهم في زروعهم ومواشيهم وتوالت عليهم النعم ، قالوا : دين محمد دين مبارك ، وإذا نزلت بهم مصيبة أو أصابتهم شدة سخطوه وثبتوا على نفاقهم))[١٠٦].

كَـتَـبَ:

ورد الفعل بحالتين الأولى مبيناً للمعلوم وهي قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾البقرة / ٧٩. وقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ ﴾البقرة /١٨٧ .

أما الأخرى فكان فيها مبيناً للمجهول وذلك في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾البقرة / ١٨٠.

وعلى حالتيه التي ورد فيها فقد جاء في هذه الآيات على ثلاثة معانٍ أو دلالات هي :

١- بمعنى الكتابة من الكتابة بالقلم[١٠٧] وذلك في الآية الأولى[١٠٨] ، فهو باقٍ على معناه المعجمي . وفي هذا الاستعمال شَبَهٌ بـــ ((قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَمَاً عَلَى إِبْرَاهِيمَ))٦٩/ الأنبياء، فلولا قوله: (سلاماً) لقتله بردها، وهنا كذلك ؛ إذ لولا(يقولون) لكان كل من يكتب الكتاب داخلاً فيه ، والله اعلم .

٢- بمعنى قَدّر وذلك في الآية الثالثة ، أي : ما قدره لكم في اللوح من الولد [١٠٩].

٣- بمعنى فُرِضَ وذلك في الآية الثانية[١١٠] ، وإنما قال : ((كُـتِبَ)) ولم يقل كُتِبت ، مع أن((الوصية)) مؤنثة ، قيل : لأنه أراد الايصاء[١١١] ، وقيل : لأنه تخلل فاصل فكان الفاصل كالعوض عن تاء التأنيث ، كما في حَضَرَ القاضي اليومَ امرأةٌ[١١٢] ومن المعلوم أن (الوصية) مؤنث غير حقيقي فيجوز فيه الوجهان.

وقال الفراء : (([كُتبَ] معناه في كل القرآن : فُرِضَ))[١١٣] ، وذلك إذا كان مبنياً للمجهول.

وعلى المعنيين الأخيرين تكون دلالة الفعل قد خُصّصَت .

كسب واكتسب :

من قوله تعالى: ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيـئَتُهُ ﴾البقرة / ٨١ ، و قوله تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾البقرة / ٢٨٦ .

في هذا الموضع من الدراسة مسائل :

الأولى : التعبير بالكسب مع السيئة ومع الحسنة .

الثانية : مجيء ((أحاط)) مع ((كسب سيئة)) .

الثالثة : التعبير بـ ((لها)) مع((كسب)) وبـ ((عليها)) مع ((اكتسب)) .

تفصيل المسائل:

المسألة الأولى:

الكسب: جلب النفع [١١٤] ، والاكتساب المبالغة في جلبه[١١٥] . وعلى هذا فهو يطلق في المجسدات وغيرالمجسدات (المعاني) ؛ لأن النفع يكون بهما جميعاً أو بأحدهما لذلك أطلقه في الآية الثانية مع الحسنة – وهي من المعاني ـ وهو قوله: (لها ما كسبت) ، وأما تعليقه بالسيئة – مع كونها ضارّةَ– فعلى طريق التهكم [١١٦]، وقيل: ((إنهم بتحصيل السيئة استجلبوا نفعاً قليلاً فانياً ، فبهذا الاعتبار أوقع عليه الكسب)) [١١٧] .

المسألة الثانية: وهي مجيء أحاط.

كانت المرأة في الجاهلية تشد وسطها بخيط مفتول من لونين أحمر وأسود يقال له : إبريم وعليه خزرات وهلال من فضة، ويسمى ذلك الهلال (الحوط) ، أي : أنه يحيط بها ليقيها من العين ، ثم انتقلت دلالته توسعاً لتشمل كل ما يحيط [١١٨] . فهو يطلق في الأصل على المجسدات وفي الآية انتقال إلى غيرالمجسدات ، لأن الخطيئة من المعاني غيرالمجسدة ، وهي السيئة[١١٩] (وغلبت فيما يقصد بالعَرَض، أي : لا يكون مقصوداً في نفسه بل يكون القصد إلى شيء آخر لكن تولد منه ذلك الفعل خطأً كَمَن رمى صيداً فأصاب إنساناً ، وشرب مسكراً فجنى جناية) [١٢٠] .

وإنما عَبرَ بـ (أحاط) معها ليبيّن مقدار الاستيلاء والقول وعموم الظاهر والباطن [١٢١] ، فهي لا تكون عندئذ خطيئة بل سيئة . وفيه أشارة إلى أن معنى السيئة في (كسب سيئة) أنما هو الشرك [١٢٢] .

قال بعض المحققين: (ولذلك أضاف الإحاطة إليها إشارة إلى أن السيئات باعتبار وصف الإحاطة داخلة تحت القصد بالعَرَض ؛ لأنها بسبب نسيان التوبة ولكونها راسخةً فيه متمكنةً حال الإحاطة ، أضافها إليه بخلاف حال الكسب ، فإنها متعلق القصد بالذات وغير حاصلة فيه فضلاً عن الرسوخ ، لذلك أضاف الكسب إلى (سيئة) ونكرَها) [١٢٣].

فجاء بعد ذلك: ﴿ **فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾ ؛ لأن الخلود في النار لا يشمل المسلمين وإن ارتكبوا السيئات ، وهذا من فضله تعالى على الأمة الوسط وهي أمة سيدنا محمد "صلى الله علية وسلم " .

المسألة الثالثة: جاءت العبارة في الحسنات بـ " لها " وهي قوله " لها ما كسبت " من حيث هي ممّا يفرح المرء بكسبه ويُسَرُّ بها ، فتضاف إلى ملكه[١٢٤] .

وجاءت في السيئات بـ " عليها " وهي قوله " وعليها ما اكتسبت " من حيث هي أثقال وأوزار ومتحملات صعبة وهذا كما يقال : لي مالٌ وعليٌ دَينٌ[١٢٥] .

وإنما قال (كسب) للحسنات ؛ لأنها مما تكتسب دون تكلف ، إذ كاسبها على جادة أمر الله تعالى ورسم شرعه ، وأما السيئات فتكتسب بتكلف ، إذ كاسبها يتكلف في أمرها خرقَ حجاب نهي الله ويتخطاهُ إليها فلذلك عَبر عنها بـ ((اكتسب)) ؛ لأن فيه بناء للمبالغة فحسن في الآية مجيء التصريفين إحرازاً لهذا المعنى [١٢٦].

مَـــس :

من قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء ﴾ البقرة / ٢١٤ .

المس: مَسّكَ الشيءَ بيدك ، أي : لمسه[١٢٧]، وهو الجنون[١٢٨] أيضاً .

وجاء المسّ في الآية بمعنى : أصاب[١٢٩]، أي: أصابتهم البأساء والضراءُ وهي في المعاني، وإنما وقع موقعه، لبيان أن البأساء والضراء دخلتهم وتمكنت منهم[١٣٠] كما في آية المس: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (البقرة ٢٧٥). وعلى هذا فإن الفعل ورد على حالتين الأولى انتقل فيها من الماديات إلى المعنويات وذلك أن المحن والشدائد معان وهي المعبر عنها بالبأساء والضراء.

أما في الحالة الثانية وهي التي في آية المس فإنه باق على معناه المعجمي، قال بعضهم :((ويُجْعل معه شيطان يخنقه))[١٣١] والخنق مادي .

أمـــاتـ :

من قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾البقرة / ٢٥٩ .

أماته بمعنى ألبثه [١٣٢]، وذلك بدلالة مائة عام؛ لأن الموت سلب الحياة وهو لا يمتدُ؛ فكأنه قال: فألبثه الله بالموت مائة عام[١٣٣]. وحينئذ يتعلق الظرف به على هذا المعنى المذكور[١٣٤] . فالظرف متعلق بما تضمنه أمات وليس بأمات نفسه، قاله ابن هشـــــــام .

والذي يبدو أنه باقٍ على حاله من غير تأويل؛ لأنه موجه لنا نحن قارئون القرآن – وهو من معجزات هذا النبي ﷺ ـ فكأنه قال أمـــــاته الله ، أي : قَطَعَ عنه الحياة مائة عام ، والله أعلم.

نَبَـــــذَ:

من قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾البقرة / ١٠٠، وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾البقرة / ١٠١ .

النبذ: طرحك الشيء من يدك أمامك أو وراءك ، ونبذت الشيء إذا رميته وأبعدته[١٣٥] ، قال الشاعر:

إن الذين أمرتهم أن يعدلوا نبذوا كتابك واستحلوا المُحرماَ[١٣٦]

ونسبة النبذ في الآيتين مجاز[١٣٧]؛ إذ النبذ حقيقة إنما هو للمجسدات مثلما واضح من المعنى المعجمي، نحو: ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [١٣٨] (القصص/٤٠) فالفعل في الآيتين فيه انتقال من الماديات المحسوسة إلى المعنويات المجردة (غير المحسوسات).

وفي الآية الثانية إنما ذكر (وراء ظهورهم) مبالغة في النبذ والطرح فقد أعرض علماء اليهود وأحبارهم عن توراتهم ؛ لأنها مصدقة لما جاء به سيدنا محمد ﷺ ، وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت ، قيل: ويجوز أن يعني به القرآن [١٣٩].

هَـــجَـــرَ:

من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ البقرة /٢١٨.

الهجر ضد الوصل، هجره يهجر هجراً وهجراناً: صرمهُ والهِجرة والهُجرة: الخروج من أرض إلى أرض[١٤٠]، والفعل في الآية لم يخرج عن معناه المعجمي ، لكنه صار فيما بعد مخصوصاً بأولئك النفر من أصحاب رسول الله سيدنا محمدﷺ الذين خرجوا من مكة إلى المدينة المنورة ، فأفضل صلاة وأتم سلام على ساكنها.

ويمكن أن يتحمل الفعل (هاجر) دلالة أخرى غير الدلالة المعجمية؛ إذ الهجر قطيعة ومفارقة، فجيء به للدلالة على قطيعة أولئك النفر من المؤمنين لأهلهم وأحبائهم وذويهم وأبنائهم فلذات أكبادهم ، وتفضيلهم حب الله وعبادته وطاعة نبيه على الأهل والمال والولد .

فيستوحي منه – تجوزاً – دلالتين معجمية ومعنوية أما المعجمية فظاهرة ، وأما المعنوية فهي ترك كل ما سواه جل وعلا لذلك جاء الإيمان سابقاً للهجرة وجاءت هي سابقة للجهاد وهذا هو التدرج العلمي والحقيقي وذلك أنك تؤمن وتهاجر ما سوى الله ثم تجاهد لتكون من الناجيين .. والله أعلم ..

ولّاهم :

من قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا ﴾البقرة / ١٤٢ .

ولى: أدبر عن الشيء ونأى عنه [١٤١].

وفي الآية جاء بمعنى صرف وعَدَلَ، أي : ما صرفهم أو عدلهم[١٤٢] عن قبلتهم . وفيه تخصيص للدلالة . والسفهاء: اليهود والمنافقون [١٤٣].

تولى :

من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ} البقرة / ٦٤ ، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ البقرة / ٨٣ ، وقوله: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ ﴾البقرة / ٢٠٥ ، وقوله: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ البقرة /٢٤٦.

التولي: الإعراض والإدبار عن الشيء بالجسم[١٤٤]. وفي سورة البقرة استعمل استعمالا لطيفاً بحيث يجعلك تستشف منه من خلال السياق ثلاث دلالات:-

الأولى: أنه باق على معناه المعجمي وذلك في الآيتين الثانية والثالثة [١٤٥].

الثانية: أنه بمعنى حَكَمَ، أي: صَار والياً وسيداً وذلك في الآية الثالثة [١٤٦].

وأما الدلالة الثالثة: فهي بمعنى الإعراض بالقلب والعقل والفؤاد، وهو انتقال من الاستعمال المادي إلى الاستعمال المعنوي، وذلك في كل المواضع التي ورد فيها في سورة البقرة [١٤٧]، فهو فعل يدل في الأصل على الحركة مادياً ثم على الحركة معنوياً؛ لأن الإعراض عن الأمر فيه حركة للذهن والعقل عن الأشياء المعتقد بها.

وإذا قلنا: إنه في الآية الثانية ، أي: ذات الرقم (٨٣) من سورة البقرة بمعنى أعرضتم في القلب، أي عندما يكون منتقلاً من الاستعمال المادي إلى الاستعمال المعنوي، فعندئذ سيكون قوله: (وانتم معرضون) تأكيدًا؛ ((لأن التولي فيه دلالة على الأعراض أيضاً، وانتم معرضون حال)) [١٤٨] ، ويحتمل أيضاً أن الفعل باقٍ على معناه المعجمي، أي: معرضون بأبدانكم،أي: ذهبتم وانتم معرضون. فقيل: ((التولي بالجسم ، والإعراض بالقلب))[١٤٩] وقال القرطبي في: ((تولى)) من الآية ٢٠٥، أي: الموضع الثالث: ((فيجيء ((تولى)) بمعنى ضل وغضب وأنِفَ في نفسِهِ))[١٥٠] . وهذا لا يبتعد عن الإعراض المعنوي .

أهم نتائج البحث :

١- أكثر الأَفعال تكون في الأصل في المجسدات ، ثم يُتَوسعُ فيها إلى غيرالمجسدات، ويعد هذا من بلاغة التأثير في السامع.

٢- بعض الأفعال تُخَصّص دلالاتها ، وذلك من خلال النص ، كما في ((تبع)) من قوله تعالى ((ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك)) (البقرة /١٤٥) ، ومثله ((سجد)) من قوله تعالى : ((فسجدوا لآدم إلاّ إبليس)) (البقرة / ٣٤)

٣- بعض الأفعال تعمم دلالتها ، كما في ((أتيت)) من قوله تعالى :((ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب)) (البقرة / ١٤٥) .

٤- تَغَيُّر دلالة الفعل يتوقف على النص تارة ، وعلى التوجيه العقلي تارة أخرى ، كما في : ((أماتهُ)) من قوله تعالى : ((فأماته الله مائة عام)) (البقرة / ٢٥٩) ، ومثله ((بعثنا)) من قوله تعالى : ((ثم بعثناكم من بعد موتكم)) (البقرة / ٥٦).

هوامش البحث :

(١) من بديع التنزيل للدكتور إبراهيم السامرائي : ص ١٤٥ .

(٢) معاني القرآن للفراء : ١٥٧/٣ .

(٣) ينظر : أثر التضمين في الإعراب والسياق للدكتور عصام آل عبدالواحد : ص٧١، مجلة العلوم الإنسانية والاقتصادية جامعة الأنبار .

(٤) ينظر: الخصائص : ٢/ ٣٦ – ٣٧ .

(٥) ينظر : اللسان (أتَيَ) .

(٦) ينظر : نفسه(أتَيَ) .

(٧) ينظر: روح المعاني : ١١/٢ .

(٨) ينظر : روح المعاني : ١٢/٢ ، وينظر الآيات من سورة البقرة : ٥٣ ، ٨٧ ، ١٢١ ، في آتينا ، والآيات : ١٠١ ، ١٤٤ في " أوتوا " ومنها (١٩ / آل عمران) .

(٩) ينظر : اللسان (بعث) ، وروح المعاني ٢٢/٣ .

(١٠) ينظر : تفسير القرطبي : ٣/ ٢٩١ ، تفسير الثعالبي : ٥٠٩/١ ، وروح المعاني : ٢٢/٣ .

(١١) ينظر : روح المعاني : ٢٢/٣ .

(١٢) ينظر : اللسان (بَلَعَ) ، وتفسير الثعالبي : ٤٦٤/١ .

(١٣) ينظر : تفسير الثعالبي : ١/ ٤٦٤ .

(١٤) ينظر: نفسه :١ / ٤٦٤ .

(١٥) ينظر: تفسير الثعالبي : ١ / ٤٦٤ ، وروح المعاني : ٢ / ١٥٠ .

(١٦) ينظر : اللســـــــان (تبع) .

(١٧) ينظر : تفسير القرطبي : ٢ / ٤٧ ، وتفسير الثعالبي :١/ ٢٨٧ .

(١٨) ينظر : تفسير الثعالبي : ١ / ٢٨٧ .

(١٩) ينظر : روح المعاني :١ /٣٣٩ .

(٢٠) ينظر : اللسان (تــرك) ، وروح المعاني :١ / ١٦٧ .

(٢١) روح المعاني : ١ / ١٦٧ .

(٢٢) نفسه : ١ / ١٦٧ .

(٢٣) ينظر : القرطبي : ١/ ٢٣١ .

(٢٤) ينظر : اللســـان (جيء).

(٢٥) ينظر : الخصائص : ٢ / ٤١٢ ، والقرطبي : ٣ / ٣٥٩ .

(٢٦) ينظر : القرطبي : ١/ ٤٥٨ ، وتفسير الثعالبي :١ / ٢٦٣ .

(٢٧) ينظر : تفسير الثعالبي : ١ / ٢٦٣ ، وروح المعاني : ٢٩١/١ .

(٢٨) ينظر : تفسير الثعالبي : ١ / ٢٦٣ .

(٢٩) ينظر : روح المعاني : ١ / ٢٩١ .

(٣٠) ينظر : تفسير القرطبي : ٢ / ١٨٥ ، ١٨٦ ، وتفسير الثعالبي : ٣٤٢/١ ، وروح المعاني : ٢٥/٢ .

(٣١) ينظر : تفسير القرطبي : ١٨٥/٢ – ١٨٧ ويفهم منه ذلك .

(٣٢) ينظر : روح المعاني : ٢٥/٢ .

(٣٣) ينظر : اللســـــــان (ذهب) .

(٣٤) ينظر : القرطبي : ١ / ٢٣١ .

(٣٥) ينظر : روح المعاني : ١ / ١٦٥ .

(٣٦) ينظر روح المعاني : ١ / ١٦٦ .

(٣٧) ينظر : اللســـــان (رجع) .

(٣٨) ينظر المحرر الوجيز: ١ / ٢٧٠ ، وتفسير الثعالبي : ١ / ٤١٢ .

(٣٩) ينظر : روح المعاني : ٢ / ٨٣ .

(٤٠) ينظر : نفسه.

(٤١) ينظر : تفسير الثعالبي : ١ / ٤١٢ ، والمحرر الوجيز: ١ / ٢٧٠ ، وتفسير القرطبي : ٣٩٤/٢ .

(٤٢) ينظر : اللســـــان (رفع) .

(٤٣) ينظر : روح المعاني : ١ / ٢٨٠ .

(٤٤) ينظر : تفسير الثعالبي :١ / ٢٥٣ ، والطبري :١ / ٣٦٦ – ٣٦٧ .

(٤٥) ينظر : روح المعاني : ١ / ٢٨٠ .

(٤٦) ينظر : الثعالبي : ٢٥٣/١ ، والدر المنثور: ١ / ١٤٦ .

(٤٧) ينظر : روح المعاني : ٣/ ٣ .

(٤٨) ينظر : اللســـــان (زلل) .

(٤٩) ينظر : تفسير الثعالبي : ١ / ٤٢٨ ، وتفسير القرطبي : ٣ / ٢٧ – ٢٨ ، وروح المعاني : ٢ / ٩٨ .

(٥٠) ينظر : روح المعاني : ٢ / ٩٨ .

(٥١) ينظر : تفسير الثعالبي : ١/ ٤٢٨ ، وتفسير القرطبي : ٣ / ٢٨ ، وروح المعاني : ٩٨/٢ .

(٥٢) ينظر: تفسير الثعالبي : ١ / ٤٣٣ .

(٥٣) ينظر: روح المعاني : ٢ / ١٠٤ ، والقرطبي : ٣٨/٣ ، وأفهم ذلك من كلامهما .

(٥٤) ينظر : الثعالبي : ١ / ٤٣٣ .

(٥٥) ينظر : القرطبي : ٣ / ٣٧ ، والمحرر الوجيز : ٢ / ٢١٣ .

(٥٦) ينظر : اللســـان(سجد) ، والقرطبي : ٣٠٤/١ ، وتفسير الثعالبي : ٢١٥/١.

(٥٧) الصحاح ، واللسان (سجد) ، والمحرر الوجيز: ٢٤٤/١ ، والقرطبي :٣٠٥/١ .

(٥٨) تفسير الثعالبي : ١ / ٢١٥ .

(٥٩) في تفصيل القول في السجود في الآية ينظر : القرطبي : ١ / ٣٠٤ – ٣٠٧

(٦٠) ينظر : تفسير الثعالبي : ١ / ٢١٥ ، وروح المعاني : ١ /٢٢٨ .

(٦١) ينظر : المصدران السابقان .

(٦٢) ينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن : ١٩٣ .

(٦٣) ينظر : تفسير الثعالبي : ١ / ٢١٥ ، وروح المعاني :٢٢٨/١ .

(٦٤) ينظر : اللسان (سعى) ، وروح المعاني : ٩٥/١.

(٦٥) ورد الحديث في :صحيح أبي داود : ٥٨ ، وسنن ابن ماجه (المساجد والجماعات) ، المشي إلى الصلاة برقم ٧٦٧.

(٦٦) ينظر: روح المعاني : ٩٥/٢.

(٦٧) الضم في (اشتروُا) بدل الواو الأصلية ، ينظر: القرطبي : ٢٢٨/١.

(٦٨) ينظر : روح المعاني : ١٦١/١.

(٦٩) ينظر: نفسه :١ /١٦١.

(٧٠) قائله أبو ذؤيب الهذلي وقد ورد في :الكتاب : ٦١/١ ، وديوان الهذليين : ٩٠.

(٧١) تفسير القرطبي : ٢٢٨/١.

(٧٢) ينظر: تفسير القرطبي : ٢٢٨/١-٢٢٩.

(٧٣) ينظر: اللسان (ضرب).

(٧٤) ينظر: تفسيرالقرطبي : ٤٣٣/١ ، وتفسير الثعالبي : ٢٥١/١.

(٧٥) ينظر: تفسير القرطبي : ٤٣٣/١ ، وروح المعاني : ١/ ٣٨٧ .

(٧٦) ديوانه : ٤٣/١.

(٧٧) ينظر: روح المعاني : ١/ ٣٨٧ ، وعمده الحفاظ : ٢٣٩/٢.

(٧٨) ينظر: القرطبي : ٤٣٤/١ ، وتفسير الثعالبي :٢٥١/١.

(٧٩) ينظر: المصدران السابقان.

(٨٠) ينظر: العباب الزاخر (بوأ).

(٨١) ينظر : تفسير القرطبي : ٣ /١٨٧ .

(٨٢) ينظر: تفسير القرطبي : ١٨٧/٣ ، وروح المعاني : ١٥٠/٢.

(٨٣) ينظر: تفسير القرطبي : ١٨٧/٣ ، واللسان (عرض).

(٨٤) النهاية لابن الأثير : ٢١٥/٣ ، والقرطبي : ١٨٧/٣ ، واللسان (عرض).

(٨٥) اللسان (علم).

(٨٦) ينظر: القرطبي : ٤٤٣/١.

(٨٧) ينظر: العباب الزاخر (عرف).

(٨٨) ينظر : اللـــــسان (عرف).

(٨٩) ينظر : شرح ابن عقيل : ٥٢/٢ ، وتفسير القرطبي :٤٤٣/١.

(٩٠) ينظر: القرطبي : ٤٤٣/١ ، هامش رقم (١) للمحقق.

(٩١) ينظر: القرطبي : ٤٤٣/١.

(٩٢) ينظر: اللسان (فتح).

(٩٣) ينظر: القرطبي : ٨/٢.

(٩٤) ينظر: تفسير الثعالبي : ٢٦٧/١ ، والدر المنثور: ١٥٨/١.

(٩٥) ينظر: روح المعاني : ٢٩٩/١.

(٩٦) ينظر: القرطبي : ٢٤١/١ ، والمحرر الوجيز: ١٩٥/١.

(٩٧) ينظر : تفسير الثعالبي : ٢٤٩/١ ، واللسان (فجر).

(٩٨) ينظر: اللسان (قوم).

(٩٩) ينظر: القرطبي : ٢٤١/١ ، والمحرر الوجيز: ١٩٥/١ ، وتفسير الثعالبي : ٢٤٩/١.

(١٠٠) ينظر: روح المعاني : ١٧٦/١.

(١٠١) ينظر: نفسه: ١٧٦/١.

(١٠٢) ينظر: القرطبي : ٢٤١/١.

(١٠٣) روح المعاني : ١٧٦/١.

(١٠٤) ينظر:نفسه : ١٧٦/١.

(١٠٥) ينظر: نفسه : ١/ ١٧٦ .

(١٠٦) الثعالبي :١٩٤/١ ، وينظر: المحرر الوجيز: ١٠٤/١ ، والقرطبي : ٢٤١/١.

(١٠٧)ينظر: اللـــــــسان (كتب).

(١٠٨)ينظر:القرطبي١٣/٢ ، وروح المعاني :٣٠٢/١-٣٠٤ ، وتفسيرالثعالبي١ :/٢٦٩.

(١٠٩)ينظر:القرطبي ٢٦٢/٢ ، وينظر:الاية٢٤٦من سورة البقرة ويراجع القرطبي : ٢٤١/٣ ، وتفسير الثعالبي : ١ / ٣٧٠ .

(١١٠)ينظر: القرطبي : ٢ / ٢٦٢ .

(١١١)ينظر: القرطبي : ٢٦٢/٢ ، وحاشية الخضري : ٣٢٦/١.

(١١٢)ينظر: روح المعاني يراجع تفسير الآيه١٨٧ من البقرة فيه .

(١١٣)معاني القرآن للفراء : ٨١/١ .

(١١٤)ينظر: اللسان (كسب) ، وروح المعاني : ٣٠٥/١.

(١١٥)ينظر: تفسير القرطبي : ٤٢٧/٣.

(١١٦)ينظر: روح المعاني :٣٠٦/١،٣٠٥.

(١١٧)ينظر: روح المعاني : ٣٠٦/١.

(١١٨)ينظر: اللسان (حوط).

(١١٩)ينظر: روح المعاني : ٣٠٦/١، وقيل :هي الكبيرة، ينظر: القرطبي : ١٦/٢.

(١٢٠)روح المعاني : ٣٠٦/١.

(١٢١)ينظر: نفسه : ٣٠٦/١.

(١٢٢) ينظر: القرطبي : ١٦/٢.

(١٢٣) روح المعاني :٣٠٦/١.

(١٢٤) ينظر: القرطبي : ٤٢٧/٣.

(١٢٥) ينظر: نفسه ٤٢٧/٣.

(١٢٦) ينظر: نفسه ٤٢٧/٣.

(١٢٧) ينظر: اللسان (مسس) ، وروح المعاني : ٤٩/٣.

(١٢٨) ينظر: معاني القرآن للفراء : ١٣٢/١.

(١٢٩) ينظر: روح المعاني : ٤٩/٣ ، وتفسير الثعالبي :٥٣٣/١.

(١٣٠) ينظر: روح المعاني : ٤٩/٣.

(١٣١) تفسير القرطبي : ٣٥٤/٣.

(١٣٢) ينظر: مغني اللبيب : ٦٨٧ ، وتفسير القرطبي : ٢٩١/٣ ، وتفسير الثعالبي : ٥١٠/١.

(١٣٣) ينظر: تفسير الثعالبي : ٥١٠/١ ، وروح المعاني : ٢١/٣.

(١٣٤) ينظر: مغني اللبيب: ٦٨٧ ، وتفسير الثعالبي : ٥١٠/١.

(١٣٥) اللسان (نبذ) ، وينظر: القرطبي : ٤٥/٢ ، وروح المعاني :٣٣٥/١ ، وتفسير الثعالبي :٢٨٧/١.

(١٣٦) القرطبي : ٤٥/٢.

(١٣٧) ينظر: القرطبي : ٤٥/٢ ، ٤٦ ، وروح المعاني : ٣٣٥/١-٣٣٦.

(١٣٨) ينظر: روح المعاني : ٣٣٦/١.

(١٣٩) ينظر:القرطبي : ٤٦/٢.

(١٤٠) اللسان (هجر) ، وتفسير الثعالبي : ٤٣٩/١ ، وروح المعاني : ١١١/٢.

(١٤١) ينظر:القاموس المحيط (ولى) ، واللسان (دبر) ، والصحاح (ولى).

(١٤٢) ينظر: القرطبي :١٥٣/٢ ، وتفسير الثعالبي : ٣٢٧/١ ، وروح المعاني : ٢/٢.

(١٤٣) ينظر: القرطبي : ١٥٣/٢.

(١٤٤) ينظر: تفسير الثعالبي : ٢٥٤/١ ، والقرطبي : ٤٤٢/١.

(١٤٥) ينظر: القرطبي : ٢١/٢ ، وروح المعاني : ٩٥/٢.

(١٤٦) ينظر: روح المعاني : ٩٥/٢.

(١٤٧) ينظر : القرطبي :٤٤٢/١ ، ٢١/٢ ، ٢٤١/٣ ، وروح المعاني : ٢٨١/١ ، ٩٥/٢ ، وتفسير الثعالبي : ٢٥٤/١.

(١٤٨) القرطبي : ٢١/٢.

(١٤٩)نفسه : ٢١/٢ .

(١٥٠) نفسه : ٢٠/٣.

مصادر البحث ومراجعه :

- أثر التضمين في الإعراب والسياق : الدكتور عصام مصطفى آل عبدالواحد ، منشور في مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية والاقتصادية العدد الرابع أيلول ، ٢٠٠٤م .
- تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) : لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي، (ت٨٧٥هـ)، تحقيق الشيخ علي محمد معوض ، والشيخ الدكتور عبد الفتاح أبو سُنَّة ، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي بيروت ط / ١ ، ١٩٩٧م .
- تفسير الطبري من كتابه (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه : الدكتور بشار عواد معروف ، وعصام فارس الحرشاني. مؤسسة الرسالة، ط/ ١ ، ١٩٩٤م .
- حاشية الخضري على ابن عقيل: للشيخ محمد الخضري (ت ١٢٨٧ هـ) ، طبع دار الكتب العربية ، عيسى البابي وشركاه ، (بدون تاريخ) .
- الخصائص : لأبي فتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، ط / ٤ ، دار الشؤون الثقافية العامة، (بدون تاريخ).
- الدر المنثور : لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، دار الكتب العلمية .
- ديوان الهذليين : مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٥م .
- روح المعاني : لأبي الثناء الآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- سنن ابن ماجة : ابن ماجة محمد بن يزيد (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، البابي الحلبي بمصر، ١٩٥٢م .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ومعه منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل تأليف : محمد محيي الدين عبد الحميد ، طبعة جديدة منقحة ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .
- الصحاح : الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، (ت ٣٩٣هـ) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، القاهرة ، ١٩٥٦م .
- العباب الزاخر واللباب الفاخر : الحسن بن محمد الصغاني ، (ت ٦٥٠هـ) ، (بدون تاريخ) .
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ : لأحمد بن يوسف السمين الحلبي ، تحقيق محمد التونجي ، عالم الكتب ، ط/١ .
- القاموس المحيط : الفيروز آبادي ، مطبعة السعادة بمصر، (بدون تاريخ) .
- الكتاب: سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان ، (ت ١٨٠ هـ) ، بولاق ، ١٣١٦.

- لسان العرب : لابن منظور ، محمد بن مكرم ، (ت ٧١١هـ) ، بيروت ، ١٩٦٨م.
- المحرر الوجيز : أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، (ت ٥٤٦ هـ) ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، ط/١ .
- معاني القرآن : لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) ، عالم الكتب – بيروت ، ط /٢ ، ١٩٨٠م
- مغني اللبيب : لجمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) ، تحقيق د. مازن مبارك ، ومحمد علي حمدالله، مراجعة سعيد الأفغاني ، دار الفكر ط/١ ، ١٩٨٥ ، بيروت .
- من بديع التنزيل : الدكتور إبراهيم السامرائي ، دار الفرقان ط / ١ ١٩٨٤م .
- النهاية في غريب الحديث والأثر: أبن الأثير ، مجد الدين بن مبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦ هـ) ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، البابي الحلبي بمصر ١٩٦٥م .